جامعة الملك سعود
King Saud University

كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الندوة الدولية الثانية

قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة

٢٥-٢٧/٤/١٤٣٥هـ
٢٥-٢٧/٢/٢٠١٤م

المحتويات

البحث	الصفحة
كلمة رئيس الندوة د. خالد عايش الحافي	٣
كلمة رئيس التحرير أ. د. نورة الشملان	٥
خطاب التجديد في مجال إحياء التراث عوض بن حمد القوزي	٧
قراءة النقد الثقافي للتراث الأدبي: آفاق التلقي والتأويل أميرة بنت سلمان القفاري	١٧
قراءة حداثية للتراث وإشكالات المنهج دياب قديد	٤٥
من جهود المغاربة في قراءة النصوص الأدبية والنقدية التراثية: دراسة مصطلحية رشيد سلاوي	٦٧
إشكالية المنهج عند النقاد المعاصرين ودورها في تطوير قراءات الشعر القديم عبدالقادر الحسون	١٠١
رهانات تأويل الخطاب التراثي: تأصيل الكيان من المنظور الحواري فاتحة الطايب	١٢٧
معالم النظرية الإشارية في فكر الإمام ابن قيم الجوزية والدرس اللساني الحديث إدريس بن خويا وفاطمة برماتي	١٤١
التناول النصي في التراث النقدي العربي: دراسة في ضوء لسانيات النص رشيد عمران	١٥١
الشروط الأساسية في قراءة التراث اللغوي واللساني مجدي بن صوف	١٦٣
تفسير النص القرآني وتأويله بين المنهج السلفي والاتجاهات الحداثية محمود أبو المعاطي	١٨٥
الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين مختار درقاوي	٢١٣
رثائية المعري الإنسانية: قراءة من منظور تناصي إبراهيم الدّهون	٢٥١
قراءة عبدالقاهر الجرجاني وتصوّره لفعل القراءة أبوعبدالسلام محمد الإدريسي	٢٦٧
قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة خليفة الميساوي	٢٨٣
قراءة التراث الأدبي: التراث السردي نموذجًا سعيد يقطين	٣١١
القراءة العاشقة أو إستراتيجية قراءة النص السردي الكلاسيكي: عبدالفتاح كيليطو نموذجًا عبدالرحمن بوعلي	٣٢٣

البحوث

المشرف العام

د. خالد بن عايش الحافي

رئيس التحرير

أ.د. نورة بنت صالح الشملان

مدير التحرير

د. يوسف بن محمود فجال

أعضاء اللجنة العلمية

أ. د. صالح بن زيّاد الغامدي
أ. د. إبراهيم بن سليمان الشمسان
أ. د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
أ. د. مها بنت صالح الميمان
د. محمد بن لطفي الزليطي
د. بسمة بنت ناجي عروس

المدقق اللغوي

د. حسين المناصرة

البحث	الصفحة
أسلوب النداء في العربية دراسة في تداوليّة الخطاب أيمن محمود محمد إبراهيم	٣٤٣
القضايا التداولية للواسمات في الدرس اللساني العربي ومحطات التقاطع الإبستمولوجي في الدرس المعاصر الجمعي أبو العراس	٣٦٥
نحو قراءة إبستمولجية معرفية للتراث النحوي العربي عبدالرحمن بودرع	٣٧٩
اللسانيات والتراث النحوي: إشكالات منهجية وإبستمولوجية محمد بن صالح وحيدي	٤٠٩
الضرورة الشعرية بين نحو الجملة ولسانيات النص منال نجار	٤٢٥
السيميائيات التأويلية إبدال نقدي لقراءة التراث وترهينه عبدالله بريمي	٤٥١
سيميائيات التلفّظ وتأويل الخطاب: بائية علقمة الفحل أنموذجًا عبدالفتاح يوسف	٤٧١
التحليل السيميائي للنصوص التراثية: مقاربة لتجربة عبدالفتاح كيليطو عبداللطيف محفوظ	٥١٧
آليات تحليل النص التراثي في ضوء المناهج المعاصرة السيميائية / التداولية نادية لقجع جلول	٥٣٣
قضايا تداولية في الخطاب القصصي القرآني: قصة سيدنا يوسف أنموذجًا إيمان جربوعة	٥٥٧
المعجمية الحديثة وإعادة قرءة التراث اللغوي العربي عبدالرحمان أحمد يجيوي	٥٧٩
المهمل في المعجم العربي وسبُل استثماره في وضع المصطلح عبدالقادر بن ميلود سلاّمي وسليمة حبيب بحياوي	٦١٣
نحو تسطيع «المرايا المقعرة» قراءة نقدية في بعض القضايا الواردة في كتاب المرايا المقعرة حميدي بن يوسف عمر	٦٣١
وقائع الخطاب في كتاب مجالس العلماء للزجاجي وسمية عبدالمحسن المنصور	٦٥١
تأصيل التراث في ظل الأدب المقارن بشير أحمد يوسف عمر	٧٠١
ماهية التراث ضمن المحمولات الأيديولوجية الحديثة عند الشاعر العربي المعاصر حبيب بُوهرور	٧٢٥
القراءة الحداثية للتراث: موقع التراث في بيانات الحداثيين العرب عبدالله العشي	٧٤٥
النقد الحداثي ورهاناته بين نصوصيّة عربية وإجرائية غربيّة لعموري زاوي	٧٦٥
المصطلح النقدي Hermenetics بين خلفية الفكر الغربي وواقع التصور العربي مختار عبدالقادر لزعر	٧٨٥

العنوان

ص.ب : ٢٤٥٦
الرياض: ١١٤٥١
هـــاتف: ٠١١٤٦٧٥١٠١
فـــاكس: ٠١١٤٦٧٥٠٩٤

البريد الإلكتروني

nadwa.arabic@ksu.ed.sa

اللسانيات والتراث النحوي: إشكالات منهجية وإبستمولوجية

محمد بن صالح وحيدي

الأستاذ المساعد في اللسانيات، جامعة المولى إسماعيل، بمكناس، المغرب

ملخص:

شغلت العلاقة بين اللسانيات والنحو العربي القديم حيزا مهما في الخطاب اللساني المعاصر. وانصب النقاش حول طبيعة العلاقة الممكنة بين اللسانيات والتراث النحوي. وتأرجح التحليل بين إقصاء أحد طرفي هذه المعادلة، أو البحث عن أصول المفاهيم داخل هذا النسق أو ذاك. لكن البحث اللساني العربي الحديث يفتقر إلى دراسات كافية تحدد الأسس الإبستمولوجية والتصورية التي تضبط العلاقة بين اللسانيات والنحو العربي. لقد انشغل الخطاب اللساني العربي المعاصر بمفهوم التأصيل الذي يحاول تتبع بعض المفاهيم اللسانية المعاصرة وإيجاد نظائر لها عند النحاة. وقد نتج عن ذلك أغلاط وأغاليط. تدافع هذه الورقة عن مفهوم التجسير في البحث اللساني العربي الحديث. إننا نعتقد أن مرجعيات اللسانيات العربية متعددة، لذلك هناك ما يبرر البحث عن جسور بين هذه المرجعيات. لكن ذلك ينبغي أن يتم وفق ضوابط واضحة، أهمها بناء نماذج نظرية متجانسة مفاهيميا واستدلاليا.

كلمات مفتاحية:

نظرية لسانية، تراث نحوي، نماذج نظرية، صرامة منهجية، تجانس، تجسير منهجي.

تقديم

كان من نتائج اتصال الباحثين العرب بالفكر اللغوي الغربي طرحُ مسألة العلاقة بين النظرية اللسانية الحديثة والتراث اللغوي، وبصورة خاصة التراث النحوي[1]. فقد انشغلت الأدبيات اللغوية العربية بتحليل طبيعة العلاقة بين

(١) سنركز في تحليلنا على التراث النحوي ، وهذا لا يمنع أن كثيرًا من الأفكار التي سندافع عنها يمكن أن تنطبق على العلاقة بين اللسانيات الحديثة بوجه عام والتراث اللغوي القديم، نحوًا وبلاغة وعروضًا.

النظرية النحوية الغربية (خاصة البنيوية والتوليدية) والنحو العربي القديم. ونلاحظ أنه يغلب في هذه الدراسات منطق الرفض أو التبرير. فعلاوة على الموقف التقليدي الرافض لكل جديد بمزاعم شتى، ظهرت دعاوى تسفه كل ما أنتجه النحاة وتدعو إلى تبني أسس اللسانيات الحديثة القائمة على الوصف والتجريب البعيدين عن التأويل والتعليل.

وفي سياق التطور الذي عرفته اللسانيات المعاصرة بعد هيمنة نظرية النحو التوليدي على البحث اللغوي الغربي، برز نوع جديد من الدراسات العربية يقيم مقارنات بين ما تضمنته تحليلات الغربيين وما تضمنته كتب النحاة. فالتمست تلك الدراسات عند النحاة نظائر وأشباهًا لمفاهيم التحويلات والبنية العميقة ونظرية العامل ونظرية المقولات، ولبَّس عليهم تشابه الألفاظ فظنوا المفاهيم متماثلة. وقد انتهى الأمر بكثير منهم إلى إصدار أحكام سطحية وساذجة. وما غاب في كل هذا الجدال هو تأسيس النقاش على نظر منهجي وإبستيمولوجي رصين.

تتوخى هذه الورقة تقديم بعض الملاحظات المنهجية الأولية حول طبيعة العلاقة الممكنة بين اللسانيات والتراث النحوي. وسندافع عن تصور بسيط يزعم أن النحو العربي يمثل إحدى مرجعيات النظر اللغوي العربي؛ لذلك فإن العلاقة مع اللسانيات تبقى ضرورية، ولكنها ينبغي أن تنضبط بقيود منهجية واضحة تخص الآلات الواصفة، والمفاهيم المستخدمة، والاستدلالات، والنَّساج النظري. فتجسير المرجعيات مطلب نظري لبناء لسانيات عربية نعتقد أنها ينبغي أن تكون جزءًا من لسانيات عامة تسعى إلى ضبط ما يدخل في كليات اللغة البشرية، وما يدخل ضمن الوسائط والسمات الخاصة بكل لغة.

والورقة منظمة على النحو الآتي. في الفقرة الأولى سنقدم لمحة وجيزة عن قضية قراءة التراث في الفكر العربي المعاصر. ثم نتحول إلى الحديث عن مسألة قراءة التراث اللغوي في الخطاب اللساني المعاصر. أما الفقرة الثالثة فسنتناول فيها الأسس والوسائط التي تحكم العلاقة بين اللسانيات والفكر النحوي العربي القديم. وفي الفقرة الرابعة سنقدم تصورًا أوليًا حول ما دعوناه التجسير في الخطاب اللساني المعاصر.

١. نحن والتراث: القراءة وأسس التقويم

لا يخفى أن قضية التراث تعد إحدى القضايا المفصلية في الفكر العربي المعاصر؛ إذ إنها شغلت حيزًا معتبرا في الجدال الفكري والنظري بين المفكرين العرب المعاصرين في المشرق والمغرب. ومدار الخلاف بينهم على مسألتين رئيستين: تتعلق الأولى بمشروعية البحث في التراث، أي السؤال عن جدوى وضرورة التفكير في التراث، وعن ضروب العلاقة التي يمكن أن تكون له بالحاضر ودوره في بناء المستقبل. وتتعلق الثانية بكيفية قراءة هذا التراث، والمناهج الكفيلة بتقديم القراءة الملائمة له. أما فيما يتصل بسؤال المشروعية، فقد انتهى الأمر إلى التسليم بأن التعامل

مع التراث أمر لا انفكاك عنه، لأن التراث حاضر فينا، وهو "جزء من انشغال الإنسان بذاته، بدراستها وبنائها."[١] إن هذا النزوع المتنامي للتفكير في التراث أملته أسئلة الحاضر ورهاناته. لكن طبيعة العلاقة التي يمكن أن تكون لنا مع هذا التراث ظلت مذبذبة وغير واضحة ؛ إذ إنه "لا بد من الاعتراف بأننا لم نتمكن من ترتيب العلاقة بين أجزاء هذا التراث من جهة، وبينه وبيننا من جهة أخرى بالصورة التي تجعله يؤسس ذاتنا العربية وفق متطلبات العصر"[٢].

وبالرغم من الاقتناع بضرورة التعامل مع التراث، فإن تصورات الدارسين العرب تختلف حول كيفية هذا الاقتراب. ونستطيع التماس أسباب هذا الاختلاف في أمرين: الأول هو مفهوم التراث ذاته. فالتصور الذي نبنيه للتراث يؤثر ضرورة في طريقة قراءتنا له. ونظرتنا للتراث لا تنفصل عن الأسئلة التي يطرحها علينا الحاضر. والثاني يرتبط بالمنهجية التي نتبناها في قراءة هذا التراث. فكل القراءات المعاصرة تدَّعِي قدرًا من الموضوعية، وتبحث عن المعقولية في فهم التراث. لكن هذا لا ينفي أن كل قراءة هي في الواقع اختيار، لأن "التراث خزان للأفكار والرؤى والتصورات تأخذ منه الأمة ما يفيدها في حاضرها أو ما هو قابل لأن يعين على الحركة والتقدم. لا بد إذن من الاختيار. ومعيار الاختيار هو دائمًا اهتمامات الحاضر والتطلعات المستقبلية."[٣] إن الصعوبة الأساسية هي صياغة نظرية محايدة لقراءة التراث، ولعل هذا ما يبرر أن القراءات في غالبيتها انتقائية ومسيَّسة وتجزيئية[٤].

٢. سؤال التراث النحوي في الخطاب اللساني المعاصر

١.٢. وظيفية التراث النحوي

تكتسي قراءة التراث النحوي أهمية خاصة، فهو يعَدُّ مكونًا محوريًا في الثقافة العربية الكلاسيكية والمعاصرة[٥] وقد اكتسب هذه المحورية من الاشتغال على اللغة العربية وصِلَتِه بالعلوم الأخرى. ولهذا لا ينفصل الحديث عن تطوير اللغة العربية وأدواتها والتحديات التي تواجهها عن الحديث عن تطوير النحو ومشكلة استيعابه لتطور اللغة والحاجات التعبيرية العلمية والتقنية والتواصلية. ولعل ما يعطي التراث النحوي - واللغوي بوجه عام- هذه المكانة هي أنه ما يزال مصدرا أساسيا للمعرفة اللغوية في مجال وصف اللغة العربية وتدريسها.

ومن الأسباب القوية التي ساهمت في طرح مسألة وظيفية التراث النحوي ظهور اللسانيات المعاصرة، وبداية احتكاك الباحثين العرب بالمؤلفات التأسيسية للسانيات الغربية عند دي سوسير De Saussure وبلومفيلد

(١) الجابري، التراث والحداثة، ص ٣٩.

(٢) الجابري، تكوين العقل العربي، ص ٤٦.

(٣) الجابري، التراث والحداثة، ص ٤٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث.

(٥) حول موقع النحو والعلوم اللغوية في تشكيل الثقافة العربية الكلاسيكية، انظر الجابري، نقد العقل العربي، ج١ و ج٢.

Bloomfileld وتشومسكي Chomsky وغيرهم. فكان طبيعيًا أن يطرح السؤال: ماذا نفعل بكل هذا التراث النحوي؟ وهو في واقع الأمر ليس إلا الوجه الآخر للسؤال: ماذا نفعل بهذه المعرفة الجديدة التي تجسدها اللسانيات؟ ويزخر الخطاب اللساني العربي المعاصر بتصورات متعددة ومقاربات متنوعة لهذه المسألة. ولا شك أن الخلفية التصورية والنظرية التي تتأسس عليها المقاربة تحدد طبيعة الموقف الذي يتبناه القارئ للتراث. فأصحاب الخلفية التراثية يشككون في قدرة اللسانيات على اجتراح الجديد وأخذ مكان النحو. أما الوصفيون العرب فإنهم كانوا أشد خصومة للنحو والتراث القديم. وقد شكل ظهور النحو التوليدي التحويلي فرصة مناسبة لرد الاعتبار للتراث النحوي. لذلك ظهرت دراسات توخت إبراز نواحي التناظر والتماثل بين النحو العربي القديم والنحو التوليدي في مستويات متعددة. لذلك يمكن التمييز بين مقاربتين أساسيتين لوظيفية التراث: أ) مقاربة إقصائية (تراثية أو وصفية) تتأسس على التباين بين التراث النحوي والفكر اللغوي المعاصر، وتدعو إلى الاستغناء بأحدهما وتجريد الآخر من وظيفيته، ب) مقاربة احتوائية تبحث عن وجود تناظرات بين التراث واللسانيات المعاصرة (خاصة المدرسة التوليدية)، ويغلب على هذه المقاربة ما يمكن تسميته نزوعها التأصيلي والتبريري.

٢.٢. قراءة التراث النحوي: الخلفيات والتصورات

تزخر الأدبيات اللغوية الحديثة بمحاولات كثيرة لإعادة قراءة التراث اللغوي عند العرب؛ وهي تستند في مجملها إلى اعتبار جوهري يتمثل في أن "إعادة قراءة التراث اللغوي عند العرب أمر واجب على الدارسين والباحثين الغيورين من أبناء العربية في كل مكان وزمان، لتبقى هذه الأعمال منبعًا ثريًا، ومَعينًا لا ينضب، وتأصيلاً للدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وإحياءً لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمان" [(١)].

ويمكن القول إن قراءة التراث اللغوي كصيرورة نقدية موسومة بلحظات أساسية ثلاث. الأولى، الرغبة في تجديد النحو العربي في سياق الفكر النهضوي الحديث. وتتسم هذا اللحظة بأنها محاولة لقراءة النحو من الداخل، وهي أيضًا محكومة بهاجس تطوير النحو وتنقيته من كل الشوائب التي جعلته غير مستساغ. وهي تجد مسوغاتها في القراءات النقدية لهذا التراث من الداخل التي أعادت النظر في أسسه ومفاهيمه؛ إذ تتم استعادة هذه القراءات ككتاب ابن مضاء القرطبي "الرد على النحاة" الذي انتقد فيه نظرية العامل والتعليل والتقدير، كما يدخل فيه أيضًا إعادة الاعتبار لمدرسة الكوفة.

اللحظة الثانية مثلتها أعمال المستشرقين التي اهتمت بالتراث اللغوي- النحوي في سياق اهتمامها بالتراث الفكري للحضارة العربية الإسلامية. فقد كان للمستشرقين دور كبير في نشر التراث النحوي وقراءته والتعليق عليه.

(١) البهنساوي، التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، ص ٩.

ولعل الجديد في هذه الأعمال أنها تقدم التراث النحوي انطلاقًا من مقولات النحو التقليدي الغربي. ولهذا الاعتبار يمكن القول إنها قراءة خارجية للتراث.

أما اللحظة الثالثة فتجسدها اللسانيات الحديثة مع ظهور التيار البنيوي في أوروبا (مدرسة دي سوسير) وأمريكا (مدرسة بلومفيلد) ثم المدرسة التوليدية لاحقًا. ونستطيع القول إن إعادة قراءة التراث أصبحت أكثر إلحاحًا مع انفتاح الباحثين العرب على اللسانيات الحديثة. في هذا الإطار، يمكن أن نميز موقفين من التراث النحوي القديم. الموقف الأول وجد في الفكر اللساني مبررا لتصفية الحساب مع النحو العربي القديم. وقد استند أصحاب هذا الموقف إلى المنظور الوصفي للغة، ولعل "القاسم المشترك بين أصحاب هذه الآراء هو أن التراث النحوي لا يعتبر وصفًا صالحًا للعربية ولا أساسًا في تعليمها وتعلمها"[(١)].

أما الموقف الثاني فقد قدم قراءة للتراث تقوم على إعادة الاعتبار له عبر تأصيل مفاهيمه وتحليلاته على ضوء الثقافة اللسانية المعاصرة. والملاحظة الجوهرية التي تثير الاهتمام هي أنه إذا كانت عداوة الوصفيين للتراث النحوي شديدة، فإن مدرسة النحو التوليدي كانت الإطار النظري الذي تمت داخله إعادة القراءة التأصيلية للتراث. ويبدو أن القراءة التأصيلية تسعى على العموم إلى إثبات "سبق" التراث إلى كثير مما وصل إليه الفكر اللغوي المعاصر، وهي لهذا السبب تتضمن نزعة تمجيدية للتراث. إضافة إلى ذلك ينحو هذا النوع من القراءة إلى إثبات أن الفكر اللغوي الحديث امتداد للفكر اللغوي القديم. في هذا السياق، يقرر البهنساوي أن "نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب، لتؤكد لنا أن النحو العربي لم يكن بعيدًا عن هذه الأسس والأفكار. فإن عَلَمًا شامخًا من أعلام تراثنا العربي ألا وهو العلامة عبد القاهر الجرجاني، نجده وقد سبق - التشديد منا- تشومسكي إلى تحديد هذه الفروق الدقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة، حين فرق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق، فجعل النظم للمعاني في النفس، وهو تمامًا، البنية العميقة عند تشومسكي. أما البناء، فهو البنية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق."[(٢)]،[(٣)]

إن هذه النزعة التأصيلية في قراءة التراث تأخذ بعدين. أحدهما بعد تجزيئي يحاول تبرير بعض المفاهيم والأصول في النظرية اللسانية بالبحث عن نظائر لها عند النحاة. وهكذا نجد تأصيلاً لمفاهيم البنية العميقة أو البنية السطحية أو التحويلات أو العاملية ونحو ذلك. والبعد الآخر شمولي يسعى إلى تأصيل الأبعاد النظرية والإبستمولوجية. في هذا

(١) المهيري، نظرات في التراث اللغوي، ص ١٠٦.

(٢) البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي العربي ونظريات البحث الحديث، ص ٣١.

(٣) حول نماذج كثيرة من تأصيل المفاهيم التراثية، أحيل على أعمال، البهنساوي ١٩٩٤ و ٢٠٠٤، الراجحي ١٩٧٩، عمايرة ٢٠٠٤، وآخرين.

الإطار يبحث المتوكل (٢٠٠٦، ٢٠١٠) عن تأصيل النظرية الوظيفية التي يشتغل في إطارها من داخل التراث اللغوي القديم. وهو يبني ذلك على زعمين: الأول أن الفكر اللغوي التراثي فكر وظيفي من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه؛ والثاني أن علاقة الدرس الوظيفي الحديث بالدرس الوظيفي التراثي علاقة امتداد لأصل تتيح الاستيحاء والاستثمار. ونظرًا إلى شيوع هذا النوع من الفكر التأصيلي، فإننا سنعود إلى التعليق عليه في فقرة لاحقة.

٣. قراءة التراث النحوي: الأسس والوسائط

١,٣. أسس تصورية لقراءة التراث النحوي

لا شك أن مقاربة التراث النحوي تبقى مطلبًا ضروريًا؛ ولذلك نعتقد أن سؤال المشروعية لم يعد مطروحًا. لكن هناك أسئلة محورية تفرض علينا التصدي لها وإيجاد أجوبة كافية لها: كيف نقرأ تراثنا النحوي؟ ما هي إمكانات الحوار بين هذا التراث واللسانيات المعاصرة؟ ما هي طبيعة الدور الذي يمكن أن يقوم به في بناء معرفة لسانية جديدة؟

نزعم أن الإجابة عن هذه التساؤلات تقتضي التمييز في التراث النحوي بين مستويات متعددة. وهذا ما يعطي هذا التراث وظائف مختلفة، وبالنتيجة يتيح إمكانات متنوعة وغنية لقراءة التراث. في هذا الإطار، أتصور أنه يمكن التعامل مع التراث النحوي انطلاقًا من ثلاثة أبعاد: أ) البعد الهُوِّي، ب) البعد الإبستيمولوجي- التاريخي، و ج) البعد الإجرائي.

التراث جزء منا، وهو بهذا المعنى يحقق ما يمكن تسميته "التماسك الهُوِّي". فالتراث النحوي مكوِّن من مكونات هويتنا الفكرية والحضارية، لذلك لا يستطيع أحد أن يزعم نبذه أو التخلي عنه؛ فهو ممتد فينا بصورة أو بأخرى. إن قراءة التراث تبقى حيوية في عملية إعادة بناء المعرفة اللسانية العربية، وخطوة في بناء لحظة تنويرية جديدة.

علاوة على هذا البعد الهُوِّي، يمثل التراث خزانًا من الأفكار والتحليلات. وهو بهذا المعنى موضوع للدراسة الإبستمولوجية وتاريخ الفكر اللغوي. لقد بينت دراسات عديدة أهمية الفكر اللغوي العربي القديم الذي كان موضوع بحث واستقصاء في الدوائر الأكاديمية الغربية. وهكذا نستطيع أن نسجل أن ما تركه علماء العربية القدامى ما يزال كنزًا من الأفكار لم يُفضِ بعد بكل أسراره. لقد التقت دراسات كثيرة لعدد من الباحثين الغربيين المنصفين حول أهمية التراث اللغوي العربي في مجال الدراسات الصوتية والصرفية والمعجمية، بخاصة. ولم يخفوا انبهارهم بما أنتجه الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم.

إن الأهمية الرمزية والإبستمولوجية للفكر النحوي العربي القديم تطرح علينا سؤال إجرائيته في الوصف والتحليل والنمذجة. وإذا كان البعدان الهوِّي والإبستمولوجي لا يثيران جدلاً كبيرًا بين الدارسين، فإن ما سميناه البعد الإجرائي لا يزال موضوع نقاش حاد بين اللسانيين العرب المعاصرين. فبعضهم يرى أن مفاهيم النحاة

وتحليلاتهم ومعطياتهم ما تزال صالحة في مقاربة ظواهر اللغة العربية، ويرى إمكانية ترجمة تلك المفاهيم إلى النماذج والنظريات اللسانية الحديثة. أما البعض الآخر فيرى ضرورة التمييز بين القيمة المعرفية للمفاهيم القديمة وبين قدرتها الإجرائية. لذلك يدعو إلى أن وصف وتحليل ظواهر اللغة العربية ينبغي أن يتم داخل نماذج لسانية واضحة ومتجانسة صوريًا واستدلاليًا.

٢.٣. قضية الموضوع والمنهج

واجهت اللسانيات العربية الحديثة إشكال تجديد البحث في اللغة العربية. وقد كانت أولى القضايا التي كان على اللسانيات العربية التصدي لها قضية اللغة الموصوفة. بعبارة أخرى أية لغة نصف؟ لكن الملاحظة التي تسترعي الاهتمام أن اللغويين العرب لم يطرحوا إشكال المادة الموصوفة بالجدية الكافية. لذلك نلاحظ أن اللغويين المحدثين اكتفوا باستعادة معطيات القدماء ولم يبحثوا عن معطيات جديدة. في هذا الباب يسجل عبد القادر الفاسي الفهري باستغراب أن الوصفيين أنفسهم "الذين انتقدوا النحاة القدماء أشد ما يكون الانتقاد وعابوا عليهم إفسادهم للنحو، حتى هؤلاء اكتفوا بالاحتفاظ بما أتى به القدماء من معطيات، ولم يحاولوا وصف لغة أخرى بالاعتماد على جرد مواد جديدة."[١]

إن هذا القصور في النظر إلى طبيعة الموضوع الذي ينبغي وصفه، تولَّد عنه التباس منهجي واضح عند كثير من اللغويين العرب المحدثين. فقد اعتقد كثير منهم أن بالإمكان استعادة بعض مفاهيم النحاة القدماء ليس في وصف اللغة القديمة فقط، بل حتى في وصف معطيات اللغة العربية الحالية. وقد نتج هذا عن خلط منهجي بين وصف اللغة العربية وقراءة التراث النحوي، مع "أنه لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة لغوية معينة."[٢]

لقد كانت هذه الافتراضات نتيجة لتصورات خاطئة لطبيعة العلاقة بين النظرية والتجربة. فقد تبنت أكثرية اللسانيين العرب تصورا تجريبيًا ساذجًا لا يعطي أية أهمية للنظريات باعتبارها أنساقًا استنباطية ذات خصائص صورية واضحة. إضافة إلى ذلك، قام هذا النوع من التحليل على فكرة خاطئة مفادها أن الأنحاء والنماذج اللسانية بنيت على أساس معطيات اللغات الأوروبية، وبالتالي فهي لا تصلح لوصف وتفسير معطيات اللغة العربية. وهنا لا بد من التذكير بنقطتين أساسيتين: الأولى هي أن النظرية اللسانية قطعت أشواطًا كبيرة في فهم طبيعة العلاقة بين الكُلِّي universal والموسَّط parameterized في اللغات الطبيعية. فالتنوع اللغوي ليس شيئًا لا متناهيًا بل هو

(١) الفاسي الفهري ١٩٨٥، ص ٥٢.

(٢) ن.م. ص ٥٢.

مضبوط بمبادئ وقيود. والثانية هي أن الخصائص الفُرادية idiosyncracies للغة العربية لا يمكن أن تخرج عن المبادئ العامة للملكة اللغوية أو وسائط التنوع اللغوي. إن من القضايا التي ينبغي تأكيدها اعتبارَ اللغة العربية لغة طبيعية كباقي اللغات، لذلك فهي قابلة للوصف والتمثيل انطلاقًا من النماذج اللسانية الحديثة.

٣,٣. وَهْمُ التأصيل: نقد النزعة التبريرية

اتجه عدد كبير من اللسانيين العرب المحدثين في قراءتهم للتراث إلى الربط بين الفكر اللساني المعاصر والفكر اللغوي التراثي. هذا الربط يتم تحت عنوان إثبات سبق اللغويين العرب القدماء إلى كثير من أصول ومفاهيم وتحليلات اللسانيين الغربيين. وتتمظهر هذه النزعة التأصيلية عمومًا في شكلين أساسيين: أحدهما سعي إلى تأصيل بعض المفاهيم الحديثة، والآخر تأصيل نظري وإبستيمولوجي يبحث عن سوابق لتصورات ومقاربات حديثة.

تزخر كتب بعض اللغويين المحدثين بموازنات بين الفكر اللساني المعاصر والفكر اللغوي التراثي؛ إذ تتوخى الاستدلال على أن كثيرًا مما نجده في النظريات اللغوية المعاصرة له أصول في التراث اللغوي والنحوي. وتطالعنا عناوين كثيرة حول المقارنة بين النحو العربي والنحو التوليدي خاصة. وقد التُمِست هذه المشابهات في الأسس النظرية والمفاهيم، إلى حد أن البعض توهم أن أصول النظرية التوليدية التحويلية توجد في النحو العربي[1]. وهكذا، تصبح ثنائية بنية عميقة/ بنية سطحية مرادفة لثنائية أصل/فرع، ونظرية العاملية عند تشومسكي امتدادًا لنظرية العامل عند سيبويه، وهلم جرًا. ونحن نزعم أن هذا النوع من الموازنات يؤدي إلى مغالطات في الفهم والتصور نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

أ - إن المقارنة المباشرة بين الأنحاء المعاصرة والنحو العربي القديم تنطوي على خطأٍ تصوري كبير؛ إذ نقارن نماذج نحوية تعرف دينامية كبيرة، وتتغير أبنيتها النظرية ومفاهيمها وأدوات الوصف فيها بشكل دائب- نقارنها بنحو اكتملت أسسه وآلته الواصفة. وكما هو معلوم، فالنحو التوليدي عرف في تطوره تغيرات جذرية في نوع الأسئلة المطروحة، والنساج النظري؛ حيث انتقلنا من نحو قائم على القواعد rule-based إلى نموذج قالبي modular تتفاعل فيه المبادئ والوسائط principles and parameters approach، إلى تصور أدنوي mimimalist للنحو تخلَّص من كثير من المفاهيم التوليدية القديمة.

ب - إن كثيرًا من المفاهيم التي تُعتمد أساسًا للمقارنة كانت موضوع جدل واسع، وخضعت لتعديلات كثيرة في مسار التطور النظري للنحو التوليدي. فمفهوما البنية العميقة والبنية السطحية ليس

(١) أحيل القارئ على بهنساوي، وعمايرة على الخصوص.

محتواهما ثابتًا، فالبنية العميقة عند أصحاب تيار الدلالة التوليدية ليست هي نفسها عند أصحاب تيار الدلالية التأويلية. أضف إلى هذا أن مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية نفسيهما كانا موضوع تعديل مستمر قبل الاستغناء عنهما تمامًا في البرنامج الأدنى لأنهما عُدَّا مستويين تمثيليين لا ضرورة تصورية لهما. وقس على ذلك العاملية ونحو ذلك.

ج - إن عملية المقارنة أساسًا باطلة لسببين: أحدهما تصوري؛ إذ إنها نتيجة لإسقاط مفاهيم حديثة على تحليلات قديمة بناء على تأويل معين. والآخر أن هذه المفاهيم ذاتها هي جزء من نسق تمثيلي لا يمكن تعميمه حتى على أنحاء تربطها بالنسق التوليدي علائق نسب نظري وتصوري؛ فتصور البنية المركبية phrase structure مثلا يختلف بين النحو التوليدي التحويلي والنحو المعجمي الوظيفي LFG والنحو المركبي المعمم GPSG. ثم إن كثيرًا من المفاهيم التوليدية (بنية عميقة، بنية سطحية، عاملية، تحويل...) لم تعد إجرائية، وهذا منتظر؛ لأن النظرية محكومة برغائب Desiderata نظرية وإمبريقية تحدد طبيعة المفاهيم التمثيلية التي يعتمدها النموذج اللساني في الوصف والتفسير والتنبؤ.

د - إن التأصيل بوجه عام ليس عملية محايدة، بل هو موجَّه لأنه يريد إثبات أفكار قَبْلية وتبريرَ تصورات بناء على إسقاط معين. في هذا الإطار يمكن أن ندرج تصور أحمد المتوكل (٢٠٠٦، ٢٠١٠) لكيفية التعامل مع التراث اللغوي. وينبني هذا التصور على ثلاث دعاوى[١]:

١ - اختيار النظريات اللغوية الوظيفية قديمها وحديثها والمفاضلة بينها لا يمكن أن يتما من داخل إحداها وإن ظُن أنها بلغت من الكفاية العلمية ما بلغت، بل يتمان في إطار ميتا- نظرية عامة يدعوها النظرية الوظيفية المثلى.

٢ - الفكر اللغوي التراثي في عمقه فكر وظيفي في منهجه ومفاهيمه وقضاياه.

٣ - علاقة الفكر الوظيفي الحديث بالفكر الوظيفي التراثي علاقة امتداد.

تعليقًا على هذا التصور، سنكتفي بتسجيل ملاحظتين اثنتين. الأولى، يتأسس تقييم النظريات والنماذج على أسس ومعايير، منها ما يرتبط بالنظرية ذاتها والمطالب النظرية والإمبريقية التي تتوخى بلوغها. وعلى هذا الأساس تتم المفاضلة بين النظريات، إذ يتم اختيار النظرية التي تحقق نفس الأهداف النظرية وتفسر نفس الطبقة من الوقائع والمعطيات بأقل عدد من المفاهيم. لكن تقييم النظريات يعتمد أيضًا على معايير محايدة كالبساطة والأناقة وفق ما تقتضيه شِفرة أوكام Okam's Razor. والواقع أننا لا نجد مثل هذه المعايير والأسس في النظرية الوظيفية المثلى

(١) المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص ١٥.

التي يتحدث عنها المتوكل. والثانية، إن الادعاء أن الفكر اللغوي موحد في مفاهيمه ومناهجه وأنه ذو توجه وظيفي مصادرة على المطلوب، وتقوم على اختزال فكري، وهي طبعًا موجهة؛ إذ تبحث عن مظاهر الاتجاه الوظيفي في الفكر اللغوي، تمامًا كالبحث عن أصول النظرية التوليدية في النحو العربي القديم.

إن أي تأصيل ينطوي على مخاطر الانزلاق إلى الإسقاط واللازمنية anachronism ، لذلك ينبغي التسلح بكثير من الحذر المنهجي في هذا النوع من المقارنات. فبصرف النظر عن المكاسب النفسية التي يمكن أن نجنيها - إذ نثبت أن لهذا المفهوم أو ذاك أصولاً في فكرنا اللغوي القديم- فإن أضراره أشد، ليس أخفَّها الكسلُ الفكري والتثاقل عن طلب الجديد في النظر اللغوي. ثم إن التأريخ للمفاهيم ليست عملية بسيطة؛ بل إنه مقيد منهجيًا ويتطلب التقيد بضوابط تتعلق بتطور المفاهيم والمصطلحات واستخداماتها.[1]

٤,٣. الحاجة إلى كتابة لسانية جديدة

أحدث البرنامج التوليدي منذ منتصف القرن العشرين انقلابًا معرفيًا حقيقيًا، وقد مس ذلك مستويات متعددة، فقد أعاد تعريف موضوع اللسانيات باعتباره جزءًا من علم النفس، وفي نهاية المطاف جزاء من البيولوجيا (المقاربة البيولسانية biolinguistic approach)؛ وانعكس هذا التمثل على تصور طرائق التحليل والوصف. لقد أصبح وكد اللساني تقديم نماذج لتمثيل البنى الذهنية عوض الوقوف عند وصف السلوكات الظاهرة. ولم تعد تقنيات الجمع والتصنيف والتقطيع كافية، بل أصبح بناء نماذج استنباطية للظاهرة اللغوية أمرًا ضروريًا، عبر "استعمال أنساق رمزية صورية بهدف وصف خصائص اللغات المتنوعة، ومحاولة تجريد بنية صورية مشتركة بين هذه الأنساق"[2].

إن أحد مظاهر الخلل في الخطاب اللساني المعاصر - في زعمنا- أن الكتابة اللسانية ما تزال أسيرة تصورات تقليدية، تراثية أو تجريبوية empiricist ساذجة، ولم تتجذر فيها - إلا فيما ندر- أسس ومواضعات الكتابة اللسانية المعاصرة القائمة على النمذجة والتمثيل والأمثلة والصورنة.

إن الخطاب اللساني المعاصر مدعو إلى إعادة بناء الكتابة اللسانية على أسس جديدة تماثل ما هو معمول به في الدرس اللساني المعاصر، وإعادة الاعتبار لبعض الجوانب التي ما تزال مهملة. وتتمثل أسس هذه الكتابة في جملة أمور منها: أ) الاهتمام ببناء نحو جديد للغة الفصيحة؛ ب) بناء أنحاء خاصة للهجات لتحديد طبيعة وسائط التنوع

(١) حول منهجية تاريخ الأفكار والتصورات اللسانية أحيل القارئ على مقدمة أطروحة Lindström Therese (2004) "*The history of the concept* of *grammaticalisation*".

(٢) الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ٤٧.

بين هذه اللهجات وعلاقتها بالنسق الفصيح، وتمثيل مظاهر التغير التي طالت نسق اللغة العربية؛ ج) تصحيح التصورات الخاطئة حول اللغة العربية والتراث.

٥,٣. قراءة التراث اللغوي: المبادئ والوسائط

حاولنا في الفقرات الفرعية السابقة تقديم بعض العناصر لمقاربة للتراث النحوي، واللغوي بوجه عام، في علاقته بالفكر اللساني المعاصر. ونعتقد أن التعامل مع هذا التراث ينبغي أن يتقيد بكثير من القيود المنهجية والإبستمولوجية، ويمكن تركيز عناصر هذه المقاربة في جملة من النقط:

١ - هناك حاجة إلى تاريخ حقيقي للعلوم اللغوية العربية يكون هدفه التأريخ للأفكار والأصول المعرفية للتراث اللغوي العربي القديم، وتحديد موقع هذا التراث في الإرث اللساني الكوني. وقد تحقق تراكم علمي في هذا المجال ينبغي تنزيهه عن التمجيد المجاني أو التنقيص القاسط، إنصافًا لهذا التراث.

٢ - إن إعادة قراءة التراث لا تغني بأي حال عن ضرورة تأسيس معرفة لسانية عربية معاصرة قائمة على تحقيق التراكم الكمي والمجاوزة. وهذا لا يتأتى إلا بتوطين معرفة لسانية مواكبة للتطورات المتسارعة في هذا الميدان عالميًا. وهذا يتطلب تثمين ما تحقق في مجالات معينة من البحث اللساني العربي، والتطلع إلى تطوير البحث اللساني العربي في مجالات ما تزال تعاني من بعض النقص. ونشير في هذا الباب إلى المجالات الآتية:

- لسانيات المتون Corpus Linguistics.
- اللسانيات النفسية Psycholinguistics.
- الاكتساب اللغوي Language Acquisition.
- اللسانيات التاريخية Historical Linguistics.
- النمطيات اللغوية Linguistic Typology.
- مناهج تقييم اللغة Language Assessement Methods.

١ - إن الغالب في جهود اللسانيين العرب إلى الآن التعويل على الجهد الفردي، لكننا بدأنا نلمس بوادر طيبة ومشجعة لمأسسة البحث اللساني العربي عبر مجموعة من المراكز ومؤسسات البحوث التي نطمح إلى تكثيرها حتى يتحقق منها النفع العميم للغتنا والعلوم المهتمة بها.

٢ - إن أي قراءة فعالة للتراث مطالبة بالتقيد بجملة قيود إبستمولوجية ومنهجية. وأول هذه المطالب النمذجة. فالوصف اللساني ينبغي أن يتم في نماذج لغوية ذات خصائص صورية واضحة وتتبنى التفسير رغيبة.

وثانيها تجنب النماذج الهجينة التي يمكن أن يختلط فيها التراثي والمعاصر، الوظيفي والصوري. وثالثها الاعتماد على الطرق الحديثة في جمع المتون والمدونات اللغوية والوصف وتحليل المعطيات. وهذا يقتضي إعادة التعامل مع معطيات اللغة العربية القديمة دون الاكتفاء بما قدمه القدماء من أوصاف أو تحليلات.

٤. اللسانيات والتراث النحوي: تجسير المعارف والمنهجيات

١,٤. تعدد المرجعيات النظرية ووصف اللغة العربية

يلاحظ المتأمل للفكر اللغوي الذي تناول اللغة العربية القديمة والحالية أنه يرتد إلى ثلاث مرجعيات نظرية متباينة في أسسها وأجهزتها المفاهيمية. تتمثل المرجعية الأولى في الفكر اللغوي العربي القديم، وخاصة الفكر النحوي الذي أنتجه النحاة العرب القدماء. ولا أحد يستطيع أن ينكر القيمة الإبستمولوجية لهذا الفكر الذي ما يزال كنزًا معرفيًا موضوعًا للاستكشاف والتحليل. والمرجعية الثانية تمثلها الدراسات التي قدمها الفكر الاستشراقي الغربي بكل روافده للغة العربية. وتتجلى أهمية الأدبيات الغربية الاستشراقية في جهدها الكبير في نفض الغبار عن الفكر النحوي القديم وإعادة الصلة به. إضافة إلى ذلك، قدمت هذه الدراسات أوصافًا للغة العربية انطلاقًا من مفاهيم النحو الغربي. ولا شك أن في هذه الدراسات أغلاطاً وأغاليط ناتجة عن تصورات خاطئة أو أفكار مسبقة، لكن ذلك لا ينقص من قيمتها. والمرجعية الثالثة هي الدراسات اللسانية الحديثة التي أنجزت حول اللغة العربية تطبيقًا للنماذج اللسانية الحديثة لوصف ظواهر اللغة العربية في مستوياتها المختلفة. وقد قام بهذه الدراسات باحثون غربيون أو باحثون عرب درسوا أو درَّسوا في الجامعات الغربية. وقد تراكمت في العقود الأخيرة أدبيات معتبرة حول اللغة العربية تقدمت بنا خطوات كبيرة في تمثُّل وتمثيل خصائص اللغة العربية. ولعل الملاحظة الأساسية التي تسترعي الاهتمام هي أن هذه الأدبيات ظلت في غالب الأحيان معزولة ليس هناك ما يصل بينها إلا فيما ندر. فالباحث الملتزم بأصول النحاة قلما يجاوز بنظره ما قاله القدماء، ولا يأخذ من البحث اللساني غير بعض المفاهيم المفردة التي لا تتعدى المعرفة السطحية. وقليل من اللسانيين المحدثين من يولي أهمية لإعادة قراءة ما قدمه النحاة أو المستعربون المحدثون. وعلى هذا الأساس، نعتقد أن هذا التعدد مصدر غنى لا بد من استثماره، من خلال تجسير هذه الأدبيات وفقًا لضوابط وقيود واضحة[1].

٢,٤. قيود إبستمولوجية ومنهجية

مما لاشك فيه أن البحث اللساني العربي مطالب بالانفتاح على تجارب ومرجعيات مختلفة، وأحيانًا متناقضة. فهو من جهة جزء من البحث اللساني على وجه العموم؛ حيث إن الغرض من دراسة ظواهر اللغة العربية هو تحديد

(١) حول مفهوم التجسير في الخطاب اللساني العربي، أحيل على الفاسي الفهري ٢٠١٢، وحيدي (سيظهر).

السمات التي تتقاسمها مع اللغات الطبيعية، باعتبارها حالة خاصة للنحو الكلي الذي يحدد الهبة البيولوجية للكائن البشري. وعلى هذا الأساس طُبقت على اللغة العربية النماذج اللسانية المختلفة التي وصفت بها لغات من فصائل وعائلات لغوية مختلفة ومتباعدة. وفي هذا السياق يمكن أن ننوه إلى أن البحث اللساني العربي، سواء الأبحاث التي أنجزت في الجامعات العربية أو تلك التي أنجزها دارسون للعربية بلغات أخرى، قد حقق تراكمًا معتبرًا يصح أن نبني عليه في وصف ظواهر اللغة العربية. لكن الباحث اللغوي العربي، من جهة أخرى، مدعو إلى محاورة تراث لساني أنجز على اللغة العربية، ويدخل فيه ما خلفه النحو العربي القديم من أفكار وتصورات وتحليلات، وما كتبه المستشرقون الغربيون حول اللغة العربية.

إن هذا التنوع في المرجعيات التراثية والحديثة يسائلنا ويدفعنا على التفكير في كيفية جعله مصدر غنى في الخطاب اللساني العربي المعاصر. وهذا يفرض علينا التفكير في القيود المنهجية والمعرفية التي تضبط هذا التنوع. في هذا الإطار، نقترح جملة من الضوابط لتجسير المرجعيات اللسانية التراثية والمعاصرة نصوغها في النقط الآتية:

أ - إن وصف اللغة العربية لا يمكن أن يتحقق إلا بوساطة نماذج لسانية حديثة قائمة على التفسير العلمي وذات خصائص صورية وتجريدية واضحة.

ب - لا ينبغي أن يؤدي تنوع المرجعيات إلى صياغة نماذج هجينة hybrid. فالآلة الواصفة ينبغي أن تحافظ على نقائها المفاهيمي؛ إذ لا يمكن استخدام مفاهيم النحاة واصطلاحاتهم في وصف اللغة العربية، مع مفاهيم اللسانيات المعاصرة.

ج - لا ينبغي نقل هذه التحليلات والنتائج كما هي إلى النماذج التي توضع لوصف اللغة العربية الحديثة. فنقل المفاهيم والتحليلات إلى النماذج الحديثة تنتج عنه أخطاء تصورية سبق أن أشرنا إلى بعضها. وفي نفس السياق، ينبغي أن نتعامل بحذر شديد مع تطبيق بعض مقولات النحو الغربي على العربية. وقد بيَنتْ دراسات تنميطية typological كثيرة صعوبة وصف اللغات التي لا تنتمي إلى العائلة الهندوأوروبية على أساس مفاهيم النحو الغربي.

وإجمالا، نستطيع القول إن الانخراط في المعرفة اللسانية لا يعني أن اللسانيات العربية ليست إلا تطبيقًا ميكانيكيًا لما تنتجه النماذج اللسانية الحديثة والمتغيرة باستمرار. إنه بالأحرى سعي متواصل لإدراك سمات اللغة العربية وما يدخل منها في النحو الكلي، وما يعد اختيارات موسَّطة تدخل في نطاق الأنحاء الممكنة. وهذا لا يتأتى إلا بالقدرة على وصف الأنساق الفرعية لهذه اللغة وتحديد كلياتها ووسائطها. وهذا يحتاج إلى قدرة عالية على تمثل النماذج اللغوية وإدراك إمكاناتها المعرفية وحدودها الإبستمولوجية وشروط قراءتها في صيرورتها التاريخية.

خاتمة

تأسست العلاقة بين اللسانيات والتراث النحوي (واللغوي بوجه عام) على حدَّي التباين والتناظر. فالتباين بين هذين النسقين كان مبررًا كافيًا بالنسبة للبعض للدعوة إلى إقصاء أحدهما لحساب الآخر. وقد صدر ذلك إما عن موقف تقليدي سكوني ومتحجر، أو عن موقف تجريبوي ساذج لا يجاوز العلم فيه حد الوصف السطحي للظواهر. أما "التناظر" بينهما في مستوى من المستويات فقد كان عند البعض سبيلاً إلى توهم علائق غير موجودة، بل انتهى إلى إصدار أحكام ساذجة وسطحية.

والحق أن العلاقة بين اللسانيات والتراث النحوي في حاجة إلى إعادة صياغة تصورية جذرية تؤسس للحظة معرفية جديدة. فلا أحد يستطيع أن ينكر أن التراث النحوي العربي لا يزال كنزًا غنيًا وواعدًا من الأفكار والتصورات؛ وهو لذلك لا ينفك يثير اهتمام المنشغلين بتاريخ الفكر اللغوي الإنساني الذي يعد تراثنا النحوي مكوِّنًا أصيلاً فيه. لكن ذلك لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة ناصعة، وهي أن التراث النحوي القديم واللسانيات المعاصرة نسقان متباينان في منطلقاتهما وأسسهما المعرفية، وآليتهما الاستدلالية، وأجهزتهما المفاهيمية. لذلك نعتقد أن علاقة سليمة بينهما لا بد أن تقوم على مقومات أساسية. أولاً، لا غنى لنا عن توطين معرفة لسانية علمية رصينة وحقيقية تقوم على تحقيق التراكم المعرفي الضروري عبر استثمار ما تحقق طيلة العقود الماضية في حقول لسانية ومعرفية متعددة. ثانيًا، هناك حاجة ملحة إلى تاريخ حقيقي للعلوم اللغوية العربية بعيدًا عن التمجيد أو التبخيس. ثالثًا، نعتقد أن تجسير المعارف والأفكار والمرجعيات وفق ضوابط إبستمولوجية واضحة كفيل بإخراج نظرتنا للعلاقة بين الخطاب اللساني المعاصر والتراث اللغوي القديم من المنطق الذي ظل سائدًا لحد الآن.

مراجع:

- إسماعيلي علوي، حافظ والعناتي، وليد أحمد. أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات: حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية. ط١. منشورات الاختلاف، دار الأمان، ٢٠٠٩.
- حركات، مصطفى. اللسانيات العامة وقضايا اللغة العربية. ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨.
- حسان، تمام. الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، دار الكتب، ٢٠٠٠.
- حسان، تمام. مقالات في اللغة والأدب (في جزأين.) ط ١. عالم الكتب. ٢٠٠٦.
- البهنساوي، حسام. التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، ط ١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤.
- البهنساوي، حسام. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ١٩٩٤.
- الجابري، محمد عابد. نقد العقل العربي١: تكوين العقل العربي، ط ١٠. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، (٢٠٠٩/١٩٨٢).
- الجابري، محمد عابد. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، ط ١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١.
- الراجحي، عبده. النحو العربي والدرس اللغوي الحديث: بحث في المنهج، بيروت: دار النهضة للطباعة، ١٩٧٩.
- السامرائي، إبراهيم. النحو العربي في مواجهة العصر، ط١. بيروت: جار الجيل، ١٩٩٥.
- طه، عبد الرحمن. تجديد المنهج في تقويم التراث، ط٢. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية. الدار البيضاء: توبقال للنشر، ١٩٨٥.
- المتوكل، أحمد . المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، ط١. الرباط: دار الأمان ٢٠٠٦.
- المتوكل، أحمد. الخطاب وخصائص العربية: دراسة في البنية والوظيفة والنمط، ط ١. منشورات الاختلاف ٢٠١٠.
- المهيري، عبد القادر. نظرات في التراث اللغوي العربي، ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.
- عمايرة، خليل أحمد. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ط١. عمان: دار وائل، ٢٠٠٤.
- Fassi Fehri, A. 2012 Key Features and Parameters in Arabic Grammar, John Amsterdam: Benjamins Publishers.
- Lindströmm T. Å M. 2004 The HIstory Of The Concept Of Gammaticalisation, PhD dissertation, University of Sheffield.

Abstract

The relationship between Arabic linguistic tradition and modern linguistic theories has been at the core of modern arabic linguistic thinking. Actually, it hasn't ceased to incite controversies among arabic scholars, who were concerned with both descriptive issues, and methodological questions. Since its early biginnings, the central concern of arabic modern linguistics was to ask whether arabic thought should be part of modern descriptions of Arabic. In this respect, two views have dominated the debate on the issue. The first claims that modern linguistics even in the western tradition, is a natural continuation to classical tradition, including arabic linguistic insights. As a corrolary, the proponents of this view try to find out any correlations or analogies between modern linguistic theories, analyses, and terminology on the one hand, and traditional arabic grammatical thought, on the other. The second, claims on the contrary, that despite the importanceo of the insightful contents of traditional linguistic thinking, one should be careful in approaching this relation. In fact, the two modes of thinking are independent systems of thought. Consequently, our descriptions ought to be homogenous. The aim of this paper was to provide some notes on this issue. I will claim that a kind of bridging between different traditions, arabic western and modern is possible, provided that it is epistemologically and methodologically constrained.

Key words :
linguistic theories, tradition, linguistic models, bridging, homogeneity.